

إحياء علوم الدين

العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه . وقد قال الله من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع // حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب // .

وفي خبر آخر من سلك طريقة يلتمس فيه علما سهل الله له طريقة إلى الجنة // حديث من سلك طريقة يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقديم في العلم // . وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدلها على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا .

ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم // حديث رحل جابر ابن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حدث بلغه عن عبد الله بن أنيس أخرجه الخطيب في . كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رحل .

جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حدث واحد رواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ولأحمد أن أبو أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حدث قوله أن عقبة بن عامر أتى سلمة بن مخلد وهو أمير مصر في حدث آخر وكلاهما منقطع // . وكل مذكور في العلم محصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضاً مهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلووكها إلا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنها وخبايا صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها .

وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبر في السموات والأرض وإنما سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر بن الخطاب للذي ذكرى عنده بعض الشهود هل صحبتكم في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يا معاشر القراء سيخروا تطيبوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير .

وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة

وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت عوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بمعالجها . وقد ذكرنا في .

كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال . مشاق .

وأما آيات ١٠ في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فيها قطع متجاوزات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد ٢ بالوحدانية ومبين له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد .

وأما الجاحدون والغافلون والمفترون بلاع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما أريد بالسمع السمع الظاهر فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات . ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات .

فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني ولم يتركتني ورأي الحجر الذي ورأي .

وما من ذرة في السماوات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات ٣ تعالى بالوحدانية هي توحيدها وأنواع شاهدات لمن نعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنهم لم يساورو من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكه لسان المقال